الصحونجية وفن المعارضة الناعمة: يد تصفق والأخرى تخنق

31 پوليو 2024

أدب وسخرية

3 دقيقة قراءة

www.saudieinstein.com

الصحونجية وفن المعارضة الناعمة: يد تصفق والأخرى تخنق



في مسرح الحياة السعودية، يقف الصحونجي متقن الأداء، يصفق بيد للرؤية ويخنقها بالأخرى. إنه فنان المعارضة الناعمة، يتقن الرقص على الحبـال المشــدودة بيــن المـاضي والمســتقبل. يقول "نعم" بصوت عالٍ، و"لا" بهمس خفي. هو كمن يقود سيارته وعينه على المرآة الخلفية، يسير للأمام وقلبه في الخلف!

تـراه يبتسـم للتغييـر ابتسامـة عريضـة، لكنهـا ابتسامة التمساح قبل أن ينقض على فريسته. يتحدث عن التطور بلسان معسول، وكأنه يقدم الحلوى المسمومة لطفل بريء. هو خبير في صـناعة الــ"لكن" - تلـك الكلمـة السـحرية التــى تحول كل إنجاز إلى هباء، وكل خطوة إلى تعثر.

الصحونجي المعاصر أشبه بالنعامة التي تخفي رأسها في الرمال، لكنها تترك مؤخرتها عارية للعـالم. يظـن أنـه يخـدع الجميـع، وهـو فـي الحقيقـة لا يخـدع سـوى نفسـه. يرتـدي ثـوب الحداثة، لكن عقله لا يزال يعيش في كهوف المـاضي. إنـه كمـن يحـاول قيـادة سـيارة تسلا بعقلية سائق الجمل!

في قاموس الصحونجي، كلمة "تطوير" تعني "تدمير"، و"انفتاح" تترجم إلى "انحلال". هو يرى في كل خطوة نحو المستقبل تهديداً لماضيه المقدس. وكأن التاريخ توقف عند لحظة معينة،

وكــل مــا بعــدها هــو انحــراف عــن الصــراط المســـتقيم. نســـي - أو تناســـی - أن الحیـــاة كالدراجة، إن توقفت عن التحرك، وقعت!

الصحونجي خبير في فن الـ"نعم، ولكن". نعم للتقييـر، ولكـن ليـس الآن. نعـم للتغييـر، ولكـن بشروطنا. نعم للرؤية، ولكن دعونا نعدلها قليلاً - أو كثيراً. إنه كمن يريد أن يأكل الكعكة ويحتفظ بهـا فــي نفــس الــوقت. يريــد أن يركــب موجــة التغيير، لكنه يخشـى أن تبتل قدماهـ!

في النهاية، الصحونجي هو ضحية نفسه قبل أن يكـون عقبـة فـي طريـق الآخريـن. هـو أسـير أفكـاره القديمـة، محبـوس فـى سـجن صـنعه بيــديه. يخشـــ المســتقبل لأنــه لا يفهمــه، ويتمسـك بالمـاضي لأنـه الوحيـد الـذي يعرفـه. لكن التاريخ لا يرحم المترددين، والزمن لا ينتظر المتلكئين.

إن معارضة الصحونجية الناعمة هــي كالســم في العسل، خطرة لأنها خفية. لكن الوعي هو الترياق، والتقدم هو الحل. فليصفقوا بيد واحدة مــا شــاؤوا، فالتصــفيق الحقيقــي يحتــاج ليــدين، ومســتقبل الــوطن أكــبر مــن أن يختنــق بأيـــدي الماضــي.